HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة

عنوان البحث

الخليفة عمر بن عبد العزيز نموذج اقتصادي يُحتذى به

عبد الله شيخ أوغلو[1]

[1]طالب ماجستير في جامعة صباح الدين زعيم/ إسطنبول Email: abdallah.sh1985@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/09/20م تاريخ النشر: 2020/10/01م

المستخلص

يهدف البحث إلى التعريف بالسياسة المالية للخليفة عمر بن عبد العزيز كونه يُعتبر نموذجًا اقتصاديًا فريدًا، فيتكون البحث من تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس، أم التمهيد فيشتمل على المقدمة وبيان موضوع البحث وأهميته، وأسباب اختيار الموضوع، وإجراءات البحث وهيكله. وأما المبحث الأول اشتمل على أربعة مطالب حيث يوجد التعريف بالخليفة عمر بن عبدالعزيز وبتعيينه واليًا على المدينة المنورة وتوليه الخلافة بعد ذلك، وأما المبحث الثاني فاشتمل على ثلاثة مطالب حيث يوجد فيه السياسة المالية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين الأوائل، وأما المبحث الثالث فاشتمل على ثلاثة مطالب حيث يوجد فيه الأسس التي قامت عليها السياسة المالية للخليفة عمر بن عبدالعزيز وبعض النماذج من حرصه على الحفاظ على مالية الدولة، والتوزيع العادل للثروة بين أفراد المجتمع. وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج والتوصيات. وفي الفهارس قمت بفهرسة المصادر والمراجع ومحتويات البحث.

الكلمات المفتاحية: الخليفة، الضرائب، توزيع الثروة، الإدارة المالية، بيت المال.

RESEARCH ARTICLE

CALIPH OMAR BIN ABDULAZIZ, AN ECONOMIC MODEL TO BE EMULATED

ABDULLAH ŞEYHOĞLU[1]

[1] MASTER STUDENT AT SABAHATTİN ZAİM UNİVERSİTY / ISTANBUL

Email:abdallah.sh1985@gmail.com

Abstract

The research aims to introduce the financial policy of Caliph Omar bin Abdulaziz, as he is considered to be a unique economic model, so the research consists of a preface, three researches, a conclusion, and indexes. The preface includes the introduction, an explanation of the research topic and its significance, in addition to the reasons for choosing the topic, plus the research procedures and its structure. As for the first research, it included four demands, in where the introduction of Caliph Umar bin Abdulaziz is there, in addition to designating him as the Governor of Medina and his assumption of the caliphate after that.

As for the second research, it included three demands, as there is the financial policy in the era of the Prophet Mohammad (PBUH), and in the era of the Rightly Guided Caliphs and the first Umayyad Caliphs. As for the third research, it included three demands, as there are foundations on which the financial policy of Caliph Omar bin Abdulaziz was based, and some examples of his keenness to preserve the state's finances, and the equitable distribution of wealth for the members of society. In conclusion, I mentioned the most important findings and recommendations. In the indexes, I indexed the sources, references, and contents of the research.

Key Words: Caliph, taxes, wealth distribution, financial management, treasury

المقدمة

الحمدُ للهِ حمدًا كثيرًا مباركًا فيه نحمده، ونستغفره، ونستعينُ به، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا. مَنْ يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يضللْ فلا هاديَ له، والصلاةُ والسلامُ على النبي الصادقِ الأمينِ سيدِنا محمدٍ الذي بُعِثَ رحمةً للعالمين، وعلى آلهِ وأصحابهِ الطيبين الطاهرين، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له ربُّ العرشِ العظيمِ، وأشهدُ أنّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

يا ربُّ لك الحمدُ كما ينبغي لجلالِ وجهِكَ، وعظيمِ سلطانكَ، ولكَ الحمدُ قبل الرضا، ولك الحمدُ حينَ ترضى، ولك الحمدُ بعدَ الرضا.

اللهمَّ إنا نسألكَ الصدقَ في القولِ والإخلاصِ في العملِ أما بعد:

إن القارئ لسيرة الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز يُلاحظ الازدهار الاقتصادي الذي وصلت إليه الدولة الأموية في عهده حيث أنه استطاع خلال فترة حكمه القصيرة نسبياً والتي لا تتجاوز العامين أن ينهض بدولته من جميع النواحي ولاسيما الجانب الاقتصادي حيث حقق الاكتفاء الذاتي لجميع المسلمين ضمن الحدود الجغرافية لدولته، هذا وماكان لهذا الخليفة العادل التمكن من تحقيق هذا الرفاه والازدهار لولا امتلاكه العديد من المقومات من تقوى وعدل وعلم واختياره للأشخاص المناسبين الأكفاء لمساعدته في إدارة الدولة فأصبح هذا الرجل مثالًا يُحتذى به إلى يومنا هذا سواء في مجال السياسة أو الاقتصاد أو الإدارة أو العدل، وهناك العديد من الأسباب التي دفعتني لكتابة هذا البحث ومنها: أنني ومنذ صغري معجب إعجابًا بالغًا بالخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز ولأن تخصصي الجامعي الأساسي هو في التاريخ ولأنني أحلم دائمًا أن يحكمنا رجل يحمل بعض صفات الخليفة عمر لينهض بأمتنا من الواقع المآساوي الذي نعيش به والسبب الأخير هو أننا نجد أن أغلب الباحثين في سيرته كان قد تناول جانب الإدارة والعدل في شخصية الخليفة وأهمل دراسة الجانب الاقتصادي مماد دفعني للبحث في هذا المجال.

مشكلة البحث

اهتم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز اهتمامًا بالغًا بالجانب الاقتصادي أثناء فترة حكمه، حيث أولاه اهتمامًا كبيرًا، ومن مظاهر الازدهار الاقتصادي في عهده أن أهل الزكاة كانوا يبحثون كثيرًا عمن يأخذ منهم أموال الزكاة فلا يجدون بسبب عدم وجود مستحقيها، والسؤال المطروح هنا: من هو الخليفة عمر بن عبد العزيز وهل يُعتبر نموذجًا اقتصاديًا يُحتذى به؟

أهداف البحث

1- التعريف بالخليفة العادل عمر بن عبد العزيز.

2- التعريف بالسياسة المالية قبل عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز.

3- التعريف بالسياسة المالية للخليفة عمر بن عبد العزيز.

أهمية البحث

تظهر أهمية البحث من خلال التعرف على سيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز وعلى السياسة المالية التي اتبعها حتى استطاع الوصول إلى الرخاء الاقتصادي الذي عاشته الدولة في عهده على الرغم من أن امكانيات الدولة ومواردها قبل خلافته وبعدها هي نفسها، فماذا فعل هذا الرجل ليصل إلى هذه الدرجة من الرخاء.

أسباب اختيار البحث

1- السيرة الحسنة للخليفة عمر بن عبد العزيز ولاسيما في الجانب الاقتصادي.

2- اعتماد الخليفة عمر بن عبد العزيز في سياسته المالية على تعاليم الدين الحنيف.

3- عدم تطرق الباحثين بشكل عام إلى السياسة المالية للخليفة عمر بن عبد العزيز وتركيزهم على الجوانب الاخرى لدى الخليفة.

4- العمل على خدمة طلاب العلم في مجال الاقتصاد الإسلامي.

الصعوبات التي واجهت البحث

إن من أهم الصعوبات التي واجهت بحثي هي قلة المراجع – نوعًا ما – التي تتحدث عن السياسة المالية للخليفة عمر بن عبد العزيز، فأغلب الذين كتبوا عن الخليفة عمر بن عبد العزيز تناولوا سيرته وعدله وزهده والجوانب السياسية والإدارية.

الدراسات السابقة

يوجد عشرات المؤلفات التي تتحدث عن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ومن بين هذه المؤلفات:

1. أبو محمد عبد الله بن عبد الحكيم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، ط6، (الرياض، دار عالم الكتب، 1984م). حيث تناول هذا الكتاب سيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز وما جرى من أحداث سياسية وعسكرية في عهده وإصلاحاته بشكل عام، لكنه لم يتطرق إلى سياسته المالية.
2. عبد الستار الشيخ، عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، ط2، (دمشق، دار القلم، 1996م). حيث تناول الكتاب سيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز وشخصيته والعهد الذي سبقه وعلاقته بالخلفاء الذين قبله واستلامه للحكم وسياسته، لكنه تطرق بشكل موجز إلى الناحية الاقتصادية والسياسة الإصلاحية للخليفة عمر.
3. علي محمد الصلابي، الخليفة الراشد والمصلح الكبير عمر بن عبد العزيز ومعالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة، ط2، (دمشق، دار ابن كثير، 2009م). حيث تناول الكتاب سيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز ومكانته العلمية وصفاته واهتمامه بعقائد أهل السنة والحياة الاجتماعية في عهده ومر مرور الكرام على السياسة الاقتصادية للخليفة عمر بن عبد العزيز.

هكذا يتضح جليًا أن أغلب الكتب التي تم تأليفها عن الخليفة عمر بن عبد العزيز اهتمت اهتمامًا كبيرًا بالناحية السياسية للخيفة عمر

بن عبد العزيز وإلى زهده في الدنيا وهذا ما دفعني وبقوة لإعداد بحثي هذا من أجل إضافة جديد وهو الحديث عن السياسة المالية له.

منهج البحث

من أجل تحقيق أهداف البحث والإجابة عن سؤاله فإن المنهج الأكثر ملائمَة لذلك هو المنهج الوصفي التحليلي من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية بحتة لأجل الوصول إلى التفاسير المنطقية التي تتوفر فيها الأدلة والبراهين والقيام بتحليل ما تناولته في بحثي وفق أسس علمية للوصول إلى النتائج المرجوة من البحث.

المبحث الأول: سيرة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز

المطلب الأول: اسمه ونسبه وولادته ونشأته ووفاته

قبل الخوض في السياسة المالية للخليفة العادل عمر بن عبد العزيز لابد لنا من التعرف على شخصيته.

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب بن نفيل من بني عدي بن كعب، ويكنى أبا حفص. (البغدادي، 1968، صفحة 330/5) (الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 1993، صفحة 187/7).

ولد بالمدينة سنة ستين، عام توفي معاوية أو بعده بسنة (الذهبي، 1993، صفحة 187/7) (الصلابي، 2009، الصفحات 13-14).

والده هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وكان من خيار أمراء بني أمية، شجاعًا كريمًا، بقي أميرًا لمصر أكثر من عشرين سنة، وكان في تمام ورعه وصلاحه، وتزوج أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وقد كان والد عمر بن عبد العزيز ذا نفس تواقة إلى معالي الأمور. (الصلابي، 2009، الصفحات 11-12).

وقد كانت نشأة عمر بن عبد العزيز نشأة إسلامية حيث تربى في كنف أبيه عبد العزيز مروان بن الحكم وأمه أم عاصم المعروفة بالتقوى وهي حفيدة الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، حيث تم تربيته على الأخلاق الحميدة.

تفتحت عينا عمر الطفل في المدين المنورة، وأخذت فضائله العالية ومواهبه وكفاياته تعبر عن نفسها، وتعلن عن وجودها، وهو لايزال غضًا طريًا؛ فلقد استهوى قلبه ذلك النور المنبعث من المسجد النبوي، فأخذ يتردد عليه. وزاد من تعلقه به أن كبير أشياخه هو عبد الله بن عمر عم أمه – أم عاصم – فكان يتردد عليه، ويأخذ عنه الحديث النبوي. ولم يستطع أن يكمح جماح نفسه التواقة للمعالي عندما عاد ذات يوم وقال لأمه: يا أماه، أنا أحب أن أكون مثل خالي. (الشيخ، 1996، صفحة 26).

توفي عمر وهو بدير سمعان قرية قريبة من حمص، وقبره هناك مشهور يزار ويتبرك به، كان نازلا هناك فمرض ومات. ولد عمر بمصر سنة إحدى وستين، وتوفى يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة وعمره تسع وثلاثون سنة وستة أشهر. وكان عمر أشج، يقال له: أشج بنى أمية، ضربته دابة فى وجهه، وكان عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، يقول: من ولدى رجل

بوجهه شجة يملأ الأرض عدلا. (النووي، د–ت، صفحة 19/2)

المطلب الثاني: شخصيته وعبادته وتعلمه وزهده وعدله

كان عمر بن عبد العزيز حسن الأخلاق والخُلق، كامل العقل، حسن السمت، جيد السياسة، حريصًا على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، طاهر الذكاء والفهم، أواهًا أمينًا، قانتًا لله حنيفًا، زاهدًا مع الخلافة، ناطقً بالحق مع قلة المعين، وكثرة الأمراء الظلمة الذين ملُّوه وكرهوا محاققته لهم، ونقصه أُعطياتهم، وأخذه كثيرًا مما في أيديهم مما أخذوه بغير حق. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 1985، صفحة 120/5).

وسمع أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، ويوسف بن عبد الله بن سلام. واستوهب من سهل بن سعد قدحا شرب فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فوهبه له. وروى عن خولة بنت حكيم، وسمع جماعات من التابعين، منهم سعيد بن المسيب، وعروة، وأبو بكر بن عبد الرحمن، والربيع بن سبرة، وعبد الله بن إبراهيم، وعامر بن سعد، والزهرى. روى عنه خلائق من التابعين منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، ومحمد بن المنكدر، والزهري، ويحيى الأنصارى، وحميد الطويل، وآخرون.

وأجمعوا على جلالته، وفضله، ووفور علمه، وصلاحه، وزهده، وورعه، وعدله، وشفقته على المسلمين، وحسن سيرته فيهم، وبذل وسعه في الاجتهاد في طاعة الله، وحرصه على اتباع آثار رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، والاقتداء بسنته وسنة الخلفاء الراشدين، وهو أحد الخلفاء الراشدين، ومناقبه أكثر من أن تحصر.

وقد جمع ابن عبد الحكم في مناقب عمر بن عبد العزيز مجلدا مشتملا على جميل سيرته وحسن طريقته، وفيه من النفائس ما لا يستغنى عن معرفته والتأدب به. وذكر ابن سعد وغيره من المتقدمين أيضا له أشياء نفيسة. (النووي، د–ت، الصفحات 17/2–18)

وقال أبو حاتم: حدثنا حرملة، سمعت الشافعي يقول: الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز. (الذهبي، 1985، صفحة 20/10).

المطلب الثالث: فترة ولايته على المدينة المنورة

لما ولي الوليد الخلافة أمر عمر على المدينة فوليها من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين. لما قدم عليها واليا فصلى الظهر دعا بعشرة: عروة وعبيد الله وسليمان بن يسار والقاسم وسالما وخارجة وأبا بكر بن عبد الرحمن وأبا بكر بن سليمان وعبد الله بن عامر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه، ونكون فيه أعوانا على الحق، ما أريد أن أقطع أمرا إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدا يتعدى، أو بلغكم عن عامل ظلامة فأحرج بالله على من بلغه ذلك إلا أبلغني". فجزوه خيرا وافترقوا.

وبنى في مدة ولايته هذه مسجد النبي – صلى الله عليه وسلم – ووسعه عن أمر الوليد له بذلك.

واتسعت ولايته فصار واليا على الحجاز كلها ... وراح الأمير الشاب ينشر بين الناس العدل والأمن، وراح يذيقهم حلاوة الرحمة، وسكينة النفس، صارخًا بكلمة الحق والعدل، نائيًا بنفسه عن مظالم العهد وآثامه. وراح هذا الأمير الشاب يعمر ويعمر بادئًا بالمسجد النبوي وفي كل الحجاز، الآبار والطرق، وفي حدود ولايته وسلطانه رد للأموال العامة كرامتها وحرمتها، فلم تعد سهلة المنال لكل ناهب خالس، كما لم تعد ألعوبة في يد كل مسرف ومترف ... وفتح أبواب المدينة للهاربين من ظلم الولاة في كل أقطار الدولة.. وحماهم من المطاردة، ووفر لهم الطمأنينة والأمن. (عويضة، د–ت، صفحة 735/1)

المطلب الرابع: فترة الخلافة

بعد وفاة الخليفة الاموي سليمان بن عبدالملك تولى الخلافة الرجل العابد الزاهد عمر بن عبدالعزيز أمور الخلافة في عام 99 هـ، وأخذ «عمر بن عبدالعزيز» منذ أن ولى الخلافة فى بذل كل ما يملك من طاقة، وما يتمتع به من خبرة فى إصلاح أمور الدولة، واستقرار الأمن، ونشر الرخاء والعدل، وتحقيق الكفاية والوفرة فى كل أنحائها، والحرص على مال المسلمين، وإنفاقه في وجوهه المشروعة، وحسن التصرف فى الأمور، والدقة فى اختيار الولاة والقضاة وسائر كبار رجال الدولة، وتحقيق التوازن بين طبقات المجتمع، ومجادلة الخارجين على الدولة بالحسنى؛ لإقناعهم بالعودة إلى حظيرة الجماعة. وقد سرت تلك الروح فى كل ناحية من نواحي الحياة فى الأمة الإسلامية، فعمها الرخاء، وسادت فيها الكفاية والعدالة الاجتماعية، حتى إن عمال الصدقات كانوا يبحثون عن فقراء لإعطائهم فلا يجدون. رأى «عمر بن عبد العزيز» أن الدولة اتسعت كثيرا، وأن كثيرا من المشاكل والأخطاء نشأت من ذلك الاتساع، فرأى وقف الفتوحات والاهتمام بنشر الإسلام فى البلاد التي تم فتحها، وإرسال الدعاة والعلماء لدعوة الناس بدلا من إرسال الجيوش والحملات، وقد أثمرت تلك الجهود نتائج محمودة، فأقبل أبناء الشعوب المفتوحة على اعتناق الإسلام، يجذبهم إليه سمعة الخليفة الحسنة، وسمو أخلاقه، ونبله وعدله، الذي تجاوز حدود دولته إلى غيرها من الدول، فكان موضع إعجاب وتقدير، وحمد وثناء من أهلها، وبخاصة الدولة البيزنطية. وقد استمرت خلافة «عمر» سنتين وبضعة أشهر، شهدت فيها الدولة إصلاحات عظيمة فى الداخل والخارج، وامتلأت الأرض نورا وعدلا وسماحة ورحمة، وتجدد الأمل فى النفوس بإمكان عودة حكم الراشدين، واقعا ملموسا وحقيقة لا خيالا، وأن يقام المعوج، وينصلح الفاسد، ويرد المنحرف إلى جادة الصواب، إذا استشعر الحاكم مسئوليته عن الأمة أمام الله، واستعان بأهل الصلاح من ذوي الكفاءة والقدرة، ومن ثم فليس بغريب أن يطلق على «عمر» «خامس الخلفاء الراشدين». (سفير، د–ت، الصفحات 10/23–24)

المبحث الثاني: السياسة المالية قبل عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز

المطلب الأول: السياسة المالية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

بعد هجرة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة بدأ باتباع سياسة تأسيس الدولة الإسلامية، ولتأسيس هذه الدولة المنشودة كان لابد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهتم بالسياسة المالية اهتمامًا كبيرًا، وبالفعل هذا ما قام به الرسول الكريم، فبدأ بتنظيم الإيرادات العامة والتي هي الزكاة وخمس الغنائم والجزية وخراج الأرض وما تطوع به المسلمون من أموال للجهاد في سبيل الله.

هذا وقد سار الرسول صلى الله عليه وسلم على النهج القرآني في إدارة المال العام وكانت أخلاقه وسلوكه قدوةً يُقتدى بها في هذا الشأن فلم يقترب هو وعائلته وكل من حوله من المال العام لأنه كان يعرف أنه من حق الجميع وليس ملكًا خاصًا به.

يضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل في المساواة بين الجميع في أعباء المالية العامة، فتسري على الجميع بدون استثناء بأداء ما عليهم ولو كانوا من قربى رئيس الدولة اقتداءً بما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم مع عمه، فقد أُسِر العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر وكان الأسرى يفتدون أنفسهم بالمال، فاستأذن رجال من الأنصار رسول الله أن يأذن لهم ليتركوا لعمه العباس المال الذي يفتدي به نفسه، فقال عليه الصلاة والسلام: لاتدعوا منه درهمًا. (محمد، 1988، صفحة 247).

وإذا ما تأملنا جيدًا في تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم فإننا ندرك مدى نجاح السياسة المالية له، والتي لها أكثر من بُعد فنجد المساواة بين الجميع حتى لوكان الشخص المأسور هم عم الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أننا نجد مدى اهتمام الرسول وحرصه على مالية الدولة.

لا يدعي الرسول صلى الله عليه وسلم أنه مصدر الأموال العامة ولا مانحها ولا معطيها ومانعها، وإنما يقوم بقسمتها حيث أمره الله حل وعلا، فيقرر بذلك مبدأً هامًا في المالية العامة وهو أن لا رئيس الدولة ولا الحكومة هما صاحبا الاموال العامة وإنما صاحبها هو الشعب وأن السلطة التنفيذية لا تعطي الاموال ولا تمنعها وإنما هي قاسمة تضع الأموال حيث أمرها الشعب ويتم ذلك عن طريق قسمة الإيرادات العامة بين وجوه الإنفاق المختلفة ثم تعرضها على الشعب ممثلًا في مجالسه النيابية ليعتمدها ولها الحق في أن تعدلها وتغيرها وتضع تقسيمًا جديدًا طبقًا لأولويات أخرى ترى أنها أكثر تحقيقًا لرغبات الشعب ومصالحه. ومما يتصل بما سبق أيضًا ما أعلنه الرسول صلى الله عليه وسلم من ان خزائن الله لا تنفذ. (محمد، 1988، الصفحات 251-252).

هذه هي السياسة المالية للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والتي استطاع من خلالها ومن خلال باقي سياساته – الإدارية والسياسية والعسكرية والاجتماعية – أن يبني وفي وقت قير دولة الإسلام التي حققت العدل والمساواة بين أفراد المجتمع.

المطلب الثاني: السياسة المالية في عهد الخلفاء الراشدين

بعد وفاة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بدأت فترة جديدة في تاريخ الدولة الإسلامية، وهي فترة حكم الخلفاء الراشدين الأربعة – أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم جميعًا، وكان عهدهم أقرب ما يكون لعهد الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم ساروا على نهجه.

سار الخلفاء الراشدون من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم على هديه فطبقوا أحكام القرآن وتعاليمه، وأعملوا سنن الرسول القولية والفعلية في الإدارة المالية للدولة تنظيمًا ومتابعةً ورقابةً، وطوروا الإدارة المالية بتطور أمور الدولة، فأنشأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ديواني العطاء والخراج وأدخل التقويم الهجري ودقق في اختيار الولاة وتابع معهم خراج الولايات واسترد لبيت المال أي زيادة في ثرواتهم، وأكسب عثمان بن عفان المالية العامة وإدارتها المرونة وإن كانت هذه المرونة قد تناولها البعض بالنقد بحجة أنها ساهمت مع عوامل أخرى في قيام الفتنة وقتل الخليفة نفسه، وحمى علي بن أبي طالب إدارة المال العام من ان يوجه لخدمة النزاع الذي قام بين أنصاره وأنصار معاوية بن أبي سفيان للمطالبة بدم عثمان فلم يستخدمه لجذب الأنصار ولا لإغراء المعارضين ولا لتثبيت الموالين. وأسفرت إدارة المال العام في عهد الخلفاء الراشدين واتساع رقعة الدولة الإسلامية وغزارة مواردها العامة عن تحقيق فائض في الأموال العامة تم توزيعه على المسلمين ابتداءً من عهد أبي بكر الصديق بالتساوي ثم طوره عمر بن الخطاب فميز بين المسلمين على أساس منازلهم في الإسلام واستمر هذا الأساس في التوزيع في عهد الخليفتين بعده. (قطب، 1988، صفحة 16)

وهكذا نرى مدى التزام الخلفاء الراشدين باتباع سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصةً في المجال المالي، وقد نجحوا بشكل كبير في إدارة موارد الدولة وتسخيرها في خدمة الدولة والمجتمع.

المطلب الثالث: السياسة المالية في عهد الخلفاء الامويين الأوائل

بتنازل الحسن بين علي رضي الله عنهما اكتمل عوامل تولي معاوية بن أبي سفيان للخلافة، وتهيأت له جميع أسبابها، فبويع أميرًا للمؤمنين عام واحد وأربعين للهجرة. (الصلابي، 2017، صفحة 195/1)

بتولي معاوية بن أبي سفيان مقاليد الحكم بدأ عهد جديد من عهود الدولة الإسلامية وهو عهد الخلافة الاموية والتي استمرت منذ عام 41هـ إلى عام 132هـ بعدما هُزِمت أمام الجيش العباسي في معركة الزاب الكبرى.

يتصف العهد الأموي وخاصة في عهد الخلفاء الاوائل من بني أمية بالاهتمام بالناحية السياسية والعسكرية أكثر من اهتمامه بالناحية الاقتصادية وذلك بسبب متطلبات المرحلة حيث كانت تقوم ضدهم الثورات والفتن فكان لابد للخلفاء من إخمادها، وهذا أدى إلى حدوث فجوة في المجال الاقتصادي في فترة الانتقال من عهد الخلفاء الراشدين إلى عهد بني أمية وبدأ الناس يشتكون من هذا الامر، وأيضًا يوجد الكثير من مظاهر الرخاء والبذخ للأموال العامة للدولة من خلال القيام بصرفها على المقربين واتضح هذا الامر جليًا في عهد الخلفاء الأواخر، مما أدى إلى حدوث عجز مالي كبير.

إن من عوامل نجاح السياسة المالية لأي دولة أن تكون إدارتها رشيدة، لذلك نهى القرآن عن أن يتولى إدارة الاموال السفهاء وهم لا يحسنون إدارتها، ولذلك كان من أهم عناصر نجاح الإدارة المالية اختيار العاملين بالدولة على أساس الكفاية المطلقة.

وفي العهد الأموي وقبل عمر بن عبد العزيز كان من أسباب هبوط مستوى الأداء المالي العام اهتزاز سياسة عمال الدولة، فكان الهدف السياسي الاول هو تثبيت دعائم الحكم الاموي، وفي سبيل ذلك كان لا يُختار لبعض وظائف الدولة الأصلح والأكفأ وإنما أقربهم مودةً وأشدهم حماسًا لتأييد السلطة والسلطان، فتولى الخراج عمال غير أكفاء أساءوا إلى بيت المال والممولين وحاد بعضهم عن الحق في التنفيذ استجابةً لرغبات الساسة وتعبيرًا عن الولاء لهم. (قطب، 1988، صفحة 30).

شهدت الدولة الاموية نماذج من تجاوز أمراء بني أمية بغير حق للولاة على ما جمعوه من أموال عامة والاكتفاء بعزلهم بعدما رؤي عدم استمرارهم في أعمالهم، وإغفال مبدأ محاسبة الولاة وعمال الدولة على ما جمعوه من أموال عامة يشيع بينهم الاستخفاف بقدسية المال العام وينمي ظاهرة الاسراف والاستيلاء عليه ويرجح ايثار المنافع الخاصة على النفع العام. (قطب، 1988، صفحة 20).

المبحث الثالث: السياسة المالية للخليفة عمر بن عبد العزيز

المطلب الأول: الأسس التي قامت عليها السياسة المالية للخليفة عمر بن عبد العزيز

توفي الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك في عام 99 هـ وكان قد أوصى بولاية العهد من بعده لابن عمه عمر بن عبد العزيز الذي ورِث الكثير من المشاكل وخاصةً في المجال المالي فكان لابد له من القيام بأعمال كُثر من أجل تصحيح الأخطاء التي ارتكبها من قبله وبالفعل فقد عقد العزيمة لأن يكون مختلفًا عما قبله من الخلفاء من جميع النواحي.

في العهد الذي سبق مجيء عمر بن عبد العزيز كانت السياسة المالية تتجه نحو تحقيق غايتين أساسيتين إجمالًا: أولهما: أن تجمع أكبر كمية من المال، فكان الولاة يفاخرون أمام الخليفة بأنهم جمعوا أكبر قدر من الضرائب، وثانيهما: إرضاء ذوي النفوذ ومن له يد أو سبب في تقوية سلطان الدولة. وأمام هذه المشكلات الاقتصادية في الدخل والتوزيع، كان على أمير المؤمنين الجديد أن يتصدى للإصلاح المالي، ويعيد الحق إلى نصابه، ويُرجع الأمور إلى مجراها الطبيعي، ولم تعوزه الحيلة في ذلك، ولا أخذته الحيرة، ولم تعضله أزمة، ذلك أن عمر مؤمن بأن الحق والعدل كفيلان بتدبير تلك الأمور، وحل المعضلات. والذي يهمه: صلاح الحال لا كثرة المال. والسبيل الوحيد لتحقيق ذلك هو اتباع ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده، خاصةً منهم عمر بن الخطاب الذي أعطى النظام المالي في الإسلام صفته التفصيلية، لذا كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة لينسخوا له كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه في توزيع الصدقات. (الشيخ، 1996، الصفحات 294-295).

بدأ عمر بن عبدالعزيز سياسته المالية بزيادة الإنفاق على عامة الشعب، فأنفق في رد المظالم حتى أنفذ بيت مال العراق، وجلب إليه من الشام، وأنفق على المشاريع الزراعية، ومشاريع البُنى الأساسية كما أنفق على الرعاية الاجتماعية لجميع طبقات الشعب، وفي جانب الإيرادات سعى إلى إلغاء الضرائب الظالمة، فرفع الجزية عمن أسلم، وألغى الضرائب الإضافية التي كانت تؤخذ من

المزارعين، وألغى المكوس والقيود، كما حافظ على حقوق بيت المال المسلوبة، فأعاد إليه القطائع والمظالم، وأوقف امتيازات الأمراء والموظفين، وبالغ في الاقتصاد في الإنفاق الإداري والحربي، كل ذلك أدى إلى إطلاق الطاقات، فنمت الزراعة والتجارة، وجنى ذلك بزيادة ونمو الإيرادات، فزادت إيرادات الزكاة والخراج والعشور، وفاضت ميزانية الدولة، فوجه عمر الفائض لزيادة الإنفاق العام لتحقيق الأهداف الاقتصادية. ونلاحظ في التاريخ كلما استقام أمر الدولة وسارت على نهج الشريعة الإسلامية الغراء فاض ميزانها المالي، ولم يشعر أفرادها بعسف ولا إرهاق، ولم تُهمل مصلحة من مصالحها، وكلما اعوجَّ أمر الدولة وحادت عن سبيل الشريعة، اختل التوازن المالي، فميزانية الدولة مرآة عدلها وجورها، ونظامها وفوضاها. (الصلابي، 2009، الصفحات 256-257).

هذه هي أهم الأسس التي قامت عليها سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز المالية، وهذه الأسس مستمدة من الشريعة الإسلامية التي كان يحرص دائمًا على تطبيقها.

المطلب الثاني: نماذج من حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز في المحافظة على المال

إذا ما انتقلنا إلى حياة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وقرأنا كيف كان يتصرف في العديد من المواقف فنجد أنه كان دائمًا يتجه إلى عدم الاقتراب من خزينة الدولة بأي شكل من الأشكال وأنه كان يحافظ على أمواله الخاصة وأموال الدولة ولا يُسرف أبدً، وهناك نماذج كثيرة تحدثنا عن هذه الصفة الطيبة في أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، ونذكر من بين هذه النماذج على سبيل المثال لا الحصر:

قال لكاتبه: أَدِقَّ القلم، فإنه أبقى للقرطاس، وأوجز للحروف. (الطبري، 1387، صفحة 571/6).

كان له سراج يكتب عليه حوائجه، وسراج لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين، لا يكتب على ضوئه لنفسه حرفًا. (ابن كثير، 2003، صفحة 701/12).

أمر مولاه مزاحمًا أن يشتري له رَحْلًا لمصحفه، فأتاه برحل، فأعجبه، فقال لمولاه: من أين أصبت هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، دخلت بعض الخزائن، فوجدت هذه الخشبة فاتخذت منها رحلًا. قال: انطلق فقوِّمه في السوق، فانطلق، فقومه نصف دينار، فرجع إلى عمر فأخبره، قال: تُرانا إن وضعنا في بيت المال دينارًا أنسلم منه: قال: إنما قوموه نصف دينار. قال: ضع في بيت المال دينارين. (البغدادي، 1968، صفحة 366/5)

حدَّث عوف بن مهاجر، أن عمر بن عبد العزيز، كانت تسرج له الشمعة ما كان في حوائج المسلمين، فإذا فرغ من حاجتهم أطفأها، ثم أسرج عليه سراجه. (الأصبهاني، 1974، صفحة 323/5).

تلك هي نظرة عمر لأموال الأمة، وهذه فلسفته، وذلك نهجه في المحافظة عليها، مهما قلَّ مقدارها، وتضاءلت قيمتها، قلمًا كانت أو قرطاسًا، شمعةٍ أو خشبة، فكل ذلك له حرمة أية حرمة، وقداسة أية قداسة، وما دام الخليفة والحاكم هكذا فلن تكون رعيته إلا مثله، ولن تنهج غير طريقه، ولن تسير على هدي سواه. (الشيخ، 1996، صفحة 297).

المطلب الثالث: التوزيع العادل للثروة في عهد عمر بن عبد العزيز

من واجب الدولة، ضمان التوزيع العادل للثروة في المجتمع، ويتحقق ذلك من خلال آليتين اساسيتين هما العمل والحاجة، فعلى أساس العمل الذي يبذله المواطن، ينال حصته من المال العام. ولذا تجتهد الدولة في ان ينال العاملون لديها او في القطاع الخاص أجورًا عادلة ومنصفة وكريمة.

وقد استطاع الخليفة عمر بن عبد العزيز تحقيق هذا الأمر من خلال فهمه الصحيح لمبدأ التوزيع العادل للثروة.

أدرك عمر بن عبد العزيز أن التفاوت الاجتماعي هو نتيجة لسوء توزيع الثروة، فرسم سياسته الجديدة لإنصاف الفقراء والمظلومين، ولقد استخدم عمر للوصول إلى هذا الهدف بعض الوسائل العملية منها:

1- منع الامراء والكبراء من الاستئثار بثروة الأمة، ومصادرة الاملاك المغصوبة ظلمًا، والتي استولى عليها الأمراء والكبراء، وإعادة هذه الأموال إلى أصحابها إذا عرفوا، أو إلى بيت المال إذا لم يعرف أصحابها، أو كانت من الأموال العامة.

2- زيادة الإنفاق على الفئات الفقيرة والمحرومة ورعايتها، وتأمين مستوى الكفاية لها عن طريق الزكاة وموارد بيت المال الأخرى.

ولقد كانت سياسة عمر التوزيعية تهدف إلى إيصال الناس إلى حد الكفاية، يلاحظ ذلك من خطبه، فقد خطب الناس يومًا فقال: وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا فردوا على فقرائهم حتى نستوي نحن وهم، وأكون أنا أولهم. وقد طبق عمر هذا التطور عمليًا عندما أمر بقضاء دين الغارمين، فكتب إليه عامله: إنا نجد الرجل له المسكن والخادم، وله الفرس والأثاث في بيته، فأجاب عمر: لابد للرجل من المسلمين من مسكن يأوي إليه رأسه، وخادم يكفيه مهنته، وفرس يجاهد عليه عدوه. واثاث في بيته، فهو غارم فاقضوا عنه، فسياسة عمر التوزيعية تهدف إلى كفاية الناس من حيث المسكن والمركب والأثاث، وهي عبارة عن حاجات أساسية، وضرورية للإنسان تصعب الحياة بدونها. (الصلابي، الخليفة الراشد والمصلح الكبير عمر بن عبدالعزيز ومعالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة، 2009، صفحة 250).

هذا هو الخليفة العادل العابد الزاهد عمر بن عبدالعزيز الذي استمرت مدة خلافته سنتين فقط، واستطاع خلال هذه الفترة البسيطة أن يؤسس دولة قدمت لمواطنيها كل شيء يحتاجونه وابتعد بنفسه وأهل بيته وكافة أفراد المجتمع عن كل مظاهر البذخ التي لا معنى لها، وما كان لهذا الامر أن يتحقق لولا اتباعه للشريعة الإسلامية واتخاذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده رضي الله عنهم قدوةً حسنة له في كل خطوة يتخذها، فلقد كان رجل دولة بكل ما تحمله الكلمة من معنى من كل النواحي – السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والثقافية – ولا زالت سيرته تُدرس إلى يومنا هذا كقائد فذ في كل النواحي.

حبذا لو يحكم بلادنا التي هُجرنا منها رجل يحمل بعض صفات الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز لينهض بنا وبأمتنا الإسلامية من الوضع المشين الذي نعيشه إلى وضع أفضل يشبه إلى حد ما الوضع الذي عاشته الأمة الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن عبد

العزيز الذي كلف عماله بتوزيع المال من بيت مال المسلمين على كافة الفقراء والمحتاجين وعندما قالوا له أنهم فعلوا ما امرهم وزاد الكثير في بيت مال المسلمين، فقال لهم انثروا القمح على رؤوس الجبال لكي لا يُقال جاع طائر في بلاد المسلمين.

الخاتمة

نتائج الدراسة

نجح الخليفة عمر بن عبد العزيز بتحقيق الكثير من الانجازات على جميع الأصعدة ولاسيما الصعيد الاقتصادي، حيث استطاع في فترة قصيرة تحقيق ما عجز عن تحقيقه أسلافه، وأهم نتائج هذا البحث:

1-تحقق الرفاهية الاجتماعية لجميع عناصر المجتمع الإسلامي، حتى أصبح هناك زيادة في الأموال في خزينة الدولة.

2-حل جميع المشاكل المالية والاقتصادية التي كانت تعاني منها الدولة.

3-التخلص من الفقر والحاجة حتى أن الرجل كان يخرج زكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها.

4-ترسيخ عوامل الثقة في الإصلاح الاقتصادي على مستوى الراعي والرعية.

5-ارتفاع مستوى الدخل للأفراد داخل المجتمع الإسلامي.

6- لو أن أي حاكم في عصرنا طبق السياسة المالية التي اتبعها الخليفة عمر بن عبد العزيز لربما سيحقق رفاهًا اجتماعيًا أكثر لأن العصر الحديث يتميز بتنوع عناصر الانتاج وكثرتها.

التوصيات

1- يوصي الباحث جميع المسلمين بقراءة سيرة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وخاصةً الجانب الاقتصادي من حياته.

2- حث وزارات التربية في الدول الإسلامية على إدخال سيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى المناهج الدراسية.

3- حث الباحثين في مجال التاريخ والاقتصاد الإسلامي على تأليف الكتب عن سيرة هذا الرجل وإخراجها لجميع فئات المجتمع.

اللهم لك الحمد قبل الرضا ولك الحمد حين ترضى ولك الحمد بعد الرضا

المصادر والمراجع

ابن سعد البغدادي. (1968). *الطبقات الكبرى* (المجلد 1). بيروت: دار صادر.

أبو الفداء ابن كثير. (2003). *البداية والنهاية* (المجلد 1). القاهرة: دار هجر.

أحمد الأصبهاني. (1974). *حلية الاولياء وطبقات الأصفياء*. مصر: دار السعادة.

شمس الدين الذهبي. (1985). *سير أعلام النبلاء* (المجلد 3). بيروت: مؤسسة الرسالة.

شمس الدين الذهبي. (1998). *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام* (المجلد 2). بيروت، دار الكتاب العربي: دار الكتاب العربي.

عبدالستار الشيخ. (1996). *عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفا الراشدين* (المجلد 2). دمش: دار القلم.

علي الصلابي. (2009). *الخليفة الراشد والمصلح الكبير عمر بن عبدالعزيز ومعالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة.* دمشق: دار ابن كثير.

علي الصلابي. (2017). *الدولة الاموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.* استانبول: دار الروضة.

قطب ابراهيم محمد. (1988). *السياسة المالية للرسول.* مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

محمد ابراهيم قطب. (

1988). *السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز.* مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

محمد الطبري. (1387). *تاريخ الطبري* (المجلد 2). بيروت: دار التراث.

محمد عويضة. (د–ت د–ت, د–ت). *فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب.* (الغريب الشهري، المحرر) تم الاسترداد من المكتبة الشاملة: https://al-maktaba.org/book/32027/736#p

محيي الدين النووي. (د–ت). *تهذيب الأسماء واللغات.* بيروت: دار الكتيب العلمية.

موسوعة سفير. (د–ت د–ت, د–ت). *المكتبة الشاملة.* تم الاسترداد من https://al-maktaba.org/book/32136/1121#p1